لغة الجسد في شعر ابن الجياب الغرناطي

م. د. أفراح علي عثمان

الملخص

لغة الجسد هي تفسير لحركات جسد الإنسان، وهي لغة مشتركة بين جميع البشر دون كلام، فضلاً عن كونها أصدق، وأوسع من الكلام المنطوق. أي أنها كشف عن مكنونات النفس البشرية بوساطة إشارات وإيماءات جسدية ترسل رسالات محددة في مواقف وظروف مختلفة تظهر لك المشاعر الدفينة وتخرجها للسطح، فتصل من خلالها معلومات عن الشخص الآخر بحيث لا يستطيع إخفاء الأفكار التي تدور في ذهنه، فهي رسالة صامتة يعبر بها الشخص عن خلجات قلبه وما يدور داخله من أفكار بصمت ولكن بإيماءات تعبر عن ذلك فكل عضو من جسده له القدرة على التعبير، كالعين ونظراتها، واليد وحركاتها، والقلب وجوارحه والتي غالباً ما يكون دورها أعظم من الكلام.

وقد كان للشاعر استخدامات عدة للغة الجسد مثل العين التي جاءت عنده بمعانٍ عدة منها: العين القريرة التي عبرت عن الفرح، والعين الباكية الحزينة جراء فراق، أو اشتياق، أو حب، أو ألم، كما كانت في مواضع أخرى، كالشخص الكريم ففاضت وجادت بالدمع من خشية الله تعالى وقد أخذت لفظة (العين) عنده مساحة واسعة في ذلك المجال بكل إيماءاتها. كما صور اليد بصور عدة فهي قابضة، وباسطة وقوية ضاربة، وكريمة كالسحاب والبحر في عطائها، وكل معنى منها أدى رسالة حملت دلالات معينة.

وقد كانت اليد المبسوطة مصدر إلهام للشاعر، فضلاً عن اليد القوية أما القلب وهو مصدر القوة والضعف فقد استعمله الشاعر ليرسل به رسالات عبر فيها عن الخشوع تارة وتارة أخرى هو مصدر لإلهام الآخرين للمعاني الإنسانية المتمثلة في المودة، والحب، وغيرها من الجوارح فقد حوى ديوان ابن الجياب كثيراً من أجزاء الجسد معبراً بكل جارحة عن ما أراده في نفسه فجاء البحث بعنوان (**لغة الجسد في شعر ابن الجياب الغرناطي**) حاوياً كل تلك المعاني.

الكلمات المفتاحية : لغة الجسد قراءة لحركات أجزاء جسد الإنسان حسب الحالة النفسية التي يمر بها الشخص.

المقدمة :

لاشك أن اللغة هي أداة التواصل المشتركة بين جميع البشر، ولكل قوم لغة مشتركة تميزهم عن غيرهم ، إلا أن هنالك أداة أخرى مشتركة بين جميع البشر، دون تمايز، لغة ثانية للتفاهم وللتعبير عن الأفكار، ولربما تكون أصدق وأبلغ من الأولى أي الكلام المنطوق ألا وهي (لغة الجسد) تلك الحركات والإشارات التي تصدر من الفرد لترسل رسالات معبرة عن خلجات وأفكار الإنسان الداخلية ، وقيل أن لغة العيون هي أسمى وأصدق لغة فضلاً عن إشارات الجسد الأخرى ، لذلك جاء عنوان بحثنا متضمناً لغة الجسد في شعر ابن الجياب.

ولقد وردت اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة مريم : ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ
ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ
ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ[1] صدق الله العظيم.

وقد قسم البحث على تمهيد تضمن معنى لغة الجسد ثم تحدثنا عن حركات الجسد مثل العين ، اليد ، اللسان ، القلب ، ثم نتائج البحث ، وقائمة للمصادر والمراجع.

التمهيد :

لغة الجسد : هو مصطلح مركب من كلمتين هما (لغة) و(الجسد) وكلمة لغة هي : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[2] ، أما كلمة جسد فهي كما معروف تطلق على « جسم الإنسان »[3] وهو من المصطلحات التي ظهرت حديثاً وله تعريفات عدة منها : « إشارات وإيماءات جسدية ترسل رسالات محددة في مواقف ، وظروف مختلفة ، تظهر لك المشاعر الدفينة وتخرجها للسطح ، فتصل من خلالها معلومات أو أفكار عن الشخص الآخر بحيث لا يستطيع إخفاء الأفكار التي تدور في ذهنه »[4].

ومن التعريفات الأخرى هو: « الحوار النفسي الذي يجري بين الأطراف المعنية ، أو المعاني المتنقلة بينهم ، لا من خلال النطق ، بل من خلال الصمت والملامح العامة للإنسان الصامت كنظرات العيون ، وتعبيرات الوجه ، وحركات الجسم »[5].

وقد عرفه الدكتور محمد الأمين بقوله : « هو الرسائل التواصلية الموجودة في الكون الذي نعيشه ، ونتلقاها عبر حواسنا الخمس ويتم تداولها عبر قنوات متعددة ، وتشمل كل الرسائل التواصلية حتى تلك التي تتداخل مع اللغة اللفظية والتي تعتبر من ضمن بنيتها».[6]

كما أنها « لغة تواصل حديثة ، تعتمد على تعابير الجسد ومصطلحاته... وموضوع البحث الأساسي في هذا العلم هي لغة التخاطب غير اللفظي اللاشعوري»[7]. يتضح من ذلك أن لغة الجسد هي رسالة صامتة يعبر بها الشخص عن خلجات قلبه ، وما يدور داخله من أفكار بصمت ، ولكن بإيماءات تعبر عن ذلك فكل عضو في جسده له القدرة على التعبير، وعلى إيصال هدفه كالعين ونظراتها واليد وحركاتها ، والقلب وجوارحه ، والتي قد يكون دورها أحياناً أعظم، وأبلغ من الكلام المنطوق « فكل إيماءة وحركة من أطرافك تشكل لغة بحد ذاتها ، ويكفي أن تراقب شخصاً ما ، لتفهم من حركات رأسه ، وأصابعه ما يريد أن يقول وتعرف من طريقة جلوسه ، وملامح وجهه وحالته النفسية » « ولغة الجسد من الوسائل السامية التي تحقق الكثير من التجاوب بين الناس » [8] وذلك لأنها « نوع من التواصل غير الشفهي »[9].

يتضح بعد ذلك أن لغة الجسد هي دلالة على حركات أو رسائل تصدر من الجسد لإيصال مفاهيم معينة لمن حولهم.

1- العين :

العين هي عضو من أعضاء الجسم قوم بوظيفة مهمة وهي الإبصار، ويعتقد الكثير أن العين لها تأثيراً قوياً على الآخرين من خلال نظراتها الغاضبة ، والمشعة بالحب ، والحزينة. فضلاً عن ذلك الدلالة الوظيفية للعين ، والدلالة التواصلية نرى للعين دلالة جمالية ، فقد وصف الجمال الأنثوي في الجنة بصفتين من صفات العين هي الحور أي أن يشتد بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ، حولها ، والعِين أي العيون الواسعة[10] ويظهر ما تخفيه العين من خلال ما تمر به من ظروف نفسية حزينة ، أو سعيدة ، وكما أن العين تستخدم للتواصل البصري ، فإنها تقوم بأدوار أخرى غير روتينية تضفي عليها مزيد من الأهمية وتتضح تلك الأهمية من خلال ما سنورده من شعر الشاعر يقول متحدثاً عن العين القريرة : [11]

شيدت على مـا أسسه سلف لـك زاكٍ محمده
قــرت عيـــن للديـــن ل الديـــن بمـــــا
واهـــــــ تتقـــلـده

يتحدث الشاعر عن العين القريرة الفرحة بحكم هذا الملك الذي كان عزة لأهله ، ودينه متبع مامضى فيه سلفه من تقوى وامتثال لأوامر الله تعالى ونبيه محمد ( ) فقد أسسوا له القواعد ، وشيد بنيانه على ما أسس ، فكان نعم البناء تقر به العين وتفرح. وقوله:[12]

يا أهـــل أنـــدلس قرت عيونـكم بنخبـة الملك من أبنـاء قحطـان

فالعين هنا قريرة فرحة بذلك الملك ، الذي سيجلب لهم السعادة والخير مبتدأ بالنداء (يا) وكأنه يريد لفت نظرهم إلى ما سيؤلون عليه من نعمة في كنفه. وفي المعنى نفسه يقول .[13]

وقـــرة العين بيـــوم وبهيـــة القلب بنيـــل
الرضـــــا الأمـــل

فنجد أن السعادة والطمأنينة تظهرهما العين القريرة ، التي أدمعت فدمعتها باردة تعبيراً عن الفرح والسرور.[14]

كما قال تعالى : چ ٱ ب ب ﭒ چ[15].

ومن العين القريرة إلى العين الحزينة الباكية الشاخصة بنظراتها على ما حولها ، وهم في موطن حزن ، وشجون على ما فقدوا ، فالعيد لا يعني لهم الفرح والسرور وقرة العين بل دمعة العين على ما فات يقول : [16]

عيد أظلك في الرمال غريبا تتجاذب الأشواق فيه قلوباً
فأرى بعين البكر فيـــه أحبتـــي يتطارحون من الشجون ضروبـاً

ويتحدث عن شوقه العارم نحوه فيقول : [17]

لا يلبث الشوق المبرح لمحة حتى يمر إليهم ويؤويا شمل
فتراه خطفة بارقٍ سرعان ما أذكى الشمال سناً أضاء جنوبا فانهل
لهيبـــاً من زفيرٍ صاعـــــدٍ مـــاء العين منـــه حبيســا

فهو في اشتياق دائم له شوقاً مبرحاً ، قد أضناه وأعياه ، لا يستطيع فراقهم حتى وإن فارقهم إلا أنه سيعود لهم كلمحة ، ونستطيع تخيل نفسية الشاعر ومدى شوقه بلفظة (لمحة) وما لها من دلالات إذا ما احتسبنا زمنها إن كان يحتسب تليها (الخطفة) ، خطفة بارقٍ ، ثم يصور في البيت الأخير صورة بكاء العين تصويراً جميلاً عندما يجعل زفيره لهيباً متقداً من الحسرات ، فتنهمل العبرة بماءٍ من الدموع عليه.

ويقول : [18]

أيا زفرتي زيدي ويا عبرتي جودي على فاضل الدنيا على بن مسعود

فيبدأ مستعملاً أسلوب النداء بـ (ايا ويا) منادياً زفرته وعبرته لتجودا بالدمع على عزيز عليه محثاً إياهما على الجود في الحزن عليه مقلداً الخنساء في مطلعها في حزنها على أخيها صخراً بقولها : [19]

أعينـــــي جـــودا ولا الا تبكيـــان لصخر النـــــدى تجمـــــدا

فالعين تجود بالدمع كما تجود اليد في المال والخير.

وتبقى العين الحزينة الباكية ليقول : [20]

ذكرتك في المحراب والليل دامس تردد آي الذكر أطيب ترديد لخشية
ودمعـــــك مُرفضُ وقلبـــك واجبُ يـــوم بيت عينيك مشهود

فمن العين الباكية من الحزن ، إلى العين الباكية من الخشوع أي العين الخاشعة وهي من الصور الجميلة التي تمثل ذكر الميت بعد رحيله ، ومن أجمل ما ينعت به المفقود ، فقد ذكره في أوقات تعيده وهو يردد القرآن وينهل الدمع من خشية الله يخاف يوم فيه عينه شاخصة ، باصرة إلى الحساب.

ويقول في ذم الدنيا : [21]

فمن شام منها اليوم برق تبسم ففي الغد تلقاه بوجه جهنم وطالعها
فضاحكها باكٍ وجذلانها شح هاوٍ وميصرها عم فكلتاهمـــا
وسراؤهـــا تغني وضرّاؤهـا معـــــاً طيف الخيـــال المسلم

وفي مقارنة جميلة يصور ابن الجياب ، أحوال الناس في الدنيا مذماً ذلك معتمداً على طباقات عدة منها (ضاحك ، باكٍ) و(سراؤها وضراؤها) ، (اليوم ، والغد) وما هي بعد ذلك إلى كطيف خيال يمر دون أن تشعر به ليصل إلى النهاية فتكون به العين مرة ضاحكة قريرة ، ومرة حزينة باكية.

ومن الحزن إلى الغزل بقول : [22]

أقسمتُ ما أبصرت عين لها شبهاً حقيق لا أقول الطرف مسحور
أرعى النجوم وما بي غير نسبتهـــا والشيء بالشيء مرعـى ومذكـــور

فيصور العين الباصرة هنا التي لا ترى شبهاً لذلك الحبيب فعينه في سحر لا ترى جميل غيره. ويقول أيضاً في العين الباصرة : [23]

تعساً لعيد لم يزل متوهجاً هواه يشاهد بالعين البصيرة ما اشتهى
هوى ينهـــاه عند كل ريبـــة ويلحقه بالسابقين أولـــى النهـــى

يتحدث عن العين البصيرة ذاماً صاحبها ، الذي ما يزال ماشياً في هواه إلى أن يصل سبيل الرشاد.

2- اليد :

وهي إحدى أعضاء الجسد ويعبر بها عن الخير باليد المبسوطة وعن البخيل باليد المقبوضة وحتى أجزاءها من الأصابع والأنامل تدخل أيضاً من باب المجاز في تصويرات عدة ، وهي من أهم الأعضاء في لغة الجسد نظراً لما يصدر عن اليد من حركات وإيماءات كلها تحمل دلالات معينة أو تؤدي رسالة ما ، وهي من أهم وسائل الاتصال عند الصم والبكم في التعاملات فيما بينهم ، وغالباً ما توصف بالخير عندما تكون في الكرم فهي كالسحاب، والبحر في عطاؤها ، فضلاً عن استخدامها في القوة ، وبها تعرف قوة الرجل ، فقيل ذو أيدٍ أي رمز للقوة البطش. [24]

ويبالغ ابن الجياب في وصف كف ممدوحه حتى جعل كفه أكرم من السحاب قائلاً:[25]

ولـــو السحاب الواكفـــات لم يشـــك من محلٍ الزمان صعيـد ككفـــه

يعتمد الشاعر هنا على التشبيه لبيان كرم ممدوحه ، مغالياً في كرمه ، اليد هنا دلالة على الكرم والجود العالي.

وكثيراً ما يجمع الشاعر بين الشجاعة والجود ، والشجاعة أرقى درجات الجود لأنها جود بالنفس يقول في مدح الوزير أبي عبدالله بن عبدالكريم : [26]

فهي في السلك غمام صيب وهـــي باسط على الورى ظلاً مديدا
في الحرب حســـــام مقضب قاطـــع ممـــــا يعاديه الوريـــــدا

يجمع الشاعر بين صورتين لليد ، اليد المبسوطة على الخير والعطاء في وقت السلم كأنها غمام ، باسطاً ظله على الجميع ليشمل كل من فيهم بعطفه ، ونفس اليد الكريمة المبسوطة تلحظها في أحياناً أخرى متسلطة متجبرة تحصد كل من يقف أمامها دون رحمة ، وهي اليد القابضة في المعركة ، وقد نجح الشاعر في هذا التناقض القائم بين الصورتين صورة اليد الباسطة ، واليد القابضة.

وفي المعنى ذاته يقول : [27]

هامي يمين الجود في يـــوم الندى حامي عرين الحرب يـوم هيـــــاج

وتستمر تلك اليد في عطاياها فيمينه جود يوم الندى ، وسبق مسلول يوم الوغى.

ويقول : [28]

قسمـــاً بنـــــور جبينك بفيض جود يمينـــك الثجـــاج الوهـــــاج

وتظل اليد المبسوطة مصدر الهام للشاعر، فيقسم بنور جبينه وبيمينه المبسوطة للخير دائماً.

ويصور اليد هنا بصورة أخرى فهي ليست يد الشجاعة والكرامة ، إنما اليد الشاكرة للنعم المقدمة لها يقول : [29]

أما فضائلك العظمى فلا يدلي لا بشكرها فتقبل عفو مقتدر
وقت إلا وفيـــه لـــك عارفـــة غرا ، موصولـــة الآصـــال بالبكر

**** ****

لم تـــوف حق مـــا من يدٍ عظمى يداهـــا
أوليتـــم ثـــرّتـــان

وما كان الأيدي وما كان من الأيدي التي تهطل عليها النعم ، إلا أن تقف شاكرة على تلك الفضائل العظمى شافعاً ذلك الشكر بالعفو إلا يكون قد أبلغه حقه في الشكر، فنعمة تنبض في راحة يده ، ما عاش وكان ، ومع ذلك فقد لا يصل إلى شكر هذه اليد العظمى وتلك اليدان الثـريان ، وقد استعار تلك الكلمة من الغمام لأنها تطلق عليه.

وقوله : [30]

ولو [اسطعت] لقبلت يداً يدُ للندى قد خلقت وللقبل
ذي الوزارتين إنها منبع الفضل وقطبُ الأمل
حيث سيف الحق مسلول الظبـــا وسبيـــل الرشـــد بـــادي السبـــل

يتساءل هنا متمنياً تقبيل يده ، لفيض نعمه ، فهي يد خلقت للكرم ، والتقبيل، وهي معروفة لا تخفى على أحد ، كما أنها ذاتها السيف المسلول في الوغى.

وقوله : [31]

لك اليـــد الغاليـــة والقـــدم الراسخـــة
العاليـــة الساميـــة

وفي جناس جميل ، ونغم متناسق يصور لنا الشاعر مرتبة يد الشاعر المبسوطة ، فهي غالية ، عالية ، في الكرم ، وغالية على الجميع فضلاً عن قدمه الراسخة على الحق.

وقوله في مدح الرسول محمد (□): [32]

فاضت أنـــاملـه سحباً تهمي بعذبٍ بَـــرودٍ الحق الدرر
مبـــاركة

وفوق كل يد ، يد الرسول فتفيض أناملـه لتزيد كل خير، فهي سحابة مباركة، فاليد هنا تدل على العطاء ، والجود كالسحاب صورها الشاعر بالتصوير البليغ لعظم جود ، وكرم الرسول (□).

لنصل إلى آخر يد وهي اليد المزدجرة يقول في التثليث إشارة إلى أعداء المسلمين.

تبت يـــداه وخاب منـــه سعيه فيلمحون تثليـــة التوحيـــد

واليد هنا مزدجرة يحق عليها العذاب لفعلتها ، فقد استحقت ذلك لكفرها وعصيانها.

3- القلب :

وهو جزء من أجزاء الجسم ، به الخير وبه الشر، وبه القوة والضعف كما فيه الخشوع الذي إن ملأ القلب صلح القلب ، قال الرسول ( ) : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله, ألا وهي القلب»[33] ويقول الشاعر في هذا المعنى : [34]

خشـــــوع قلب بخوف الله منكســـر يـــراقب الله في ورد وفي صـــــدر

فالقلب هنا خاشع لله ، مراقب له في كل الأحوال فهو في صلاح دائم ، لأنه يبغي غاية واحدة ، وهي رضا الله بدليل خوف ، منكسر ، يراقب.

وما دام قلبة موجهاً لرضا الله فقد سخر الله له قلوب الآخرين ولم يكن خاشعاً فحسب بل هو مصدر الالهام الآخرين المعاني الإنسانية المتمثلة في المودة ، والحب يقول : [35]

مـــــلأت قلوب العالمين محبـــــة إن القلوب صنائـــــع الإحســـان

فالقلب هنا لم يكن خائفاً او منكسراً بل مليء بالمحبة ، والفرح من جراء الخير الذي قدمه ذلك الممدوح ، وما كان من الناس إلى أن يخلصوا له فجاء القلب هنا في صورة ثالثة، وهي صورة القلب المخلص يقول : [36]

فالمسلمـــون قلوبـــهم لك أخلصت وخلوصهـــا برضا الإلـــه شهيد

« **والخشوع حقيقة** : الخضوع والتذلل ، وهو هيئة للإنسان ، ووصف الإبصار به مجاز في الانخفاض ، والنظر من طرف خفي ، من شدة الهلع أو الخوف من فظيع ما تشاهده من سوء المعاملة ». [37]

ويستخدم الشاعر أسلوب التشخيص ليتسنى له لوم نفسه فيجعل من نفسه جليساً يخاطبه ويعاتبه يقول : [38]

حسامك في حرب الجهالة صـــارم وطرفك في شأو البطالة جامـــح
حرصت فلا وجه عن الغي صـــادق وغبت فلا القلب إلى الرشد جانـــح

فالقلب هنا في صورة التائه الذي ضيع الرشد أو الصواب بغياب الممدوح كما نلحظ روعة التقسيم في البيت الأول ، وكذلك الجناس بين جامح وجانح.

وفي مدح الرسول ( ) يقول : [39]

تلألأت الدنيا بنور جبينه تناء فوليت وجهي شطره فهو قلبي يحن
فمن الجذع شوقـــــاً فكيف لا لـــــه قلبـي وتنـــهل مُقلتـــي

وتختلف صورة القلب في هذا البيت فهو قلب مليء بالفرح والمحنة والشوق ؛ لأعظم شخص إذا ما عرفنا أن هذا البيت في مدح سيد المرسلين محمد ( ) الذي تلألأت له الدنيا: نلحظ الأثر النفسي للشاعر في حب النبي في هذا البيت فقد جعله قبلته يولي وجهه أينما كان إحساس الفرح الممزوج بدموع الفرح أيضاً.

وفي المعنى ذاته يقول : [40]

حـــــــــلا بفمي والقلب ترديد ذكره صلاة عليـــــه أجرها لي راجـــــــع

ومن حنان القلب إلى حلاوة القلب في ترديد اسم النبي وذكره.

ويفخر الشاعر بنفسه لحفظه القرآن الكريم ، الذي هو موضوع الحذقة واللب فيقول:[41]

فكان أول ما بـــــادرت في صغـــري أنـــــي درست كتـــاب الله مجتهداً

****

فطـــــاب مطعمه إذ رددتـــــه بفمي وأشرق القلبُ إذا ودعتـــه الخلدا

فجوارحه هنا في فرح لحفظه القرآن الكريم لحلاوة فمه وصورة القلب هنا (المشرق) الدال على النور والفرح لفوزه العظيم.

ويخلص من المدح إلى الحب الذي عذب قلبه حب ، حبيب عظيم ألا وهو الله فيقول متصوفاً : [42]

تدعي الحب ثم تنسى الحبيب إنما لست فيما ادعيت إلا كذوبا ب
الحب أخذةٌ تملك القلـ إذا جميعاً فليس تبقى نصيبا
مس القلب طيـــــف تنـــــــاسٍ كان سلطـــــان حبـــــه محجوبـــا

وفي أثناء مراسلاته لأصدقائه يعبر عن حبه لصديقه: [43]

بعد المزارُ فلا تسل عن غربةٍ قد أوحشت قلباً بها مقلوبا
وعليـــــك يا معنى الكمـــــال كالمســـك قد مـلأ المسالك طيبـــا تحية

ومن القلب الفرح إلى القلب الحزين المنكسر لفرقة الأحباب في غربة أوحشت القلب من بعدهم.

وفي عتاب صديقه يقول : [44]

صدعت فؤادي بالعتاب وإنه لمنزلك الأرض فخربت داركا
فيـــا ثـــــائر العتب الذي قد عكسته بحق ألا فارجع على من أشاركـــا

نلحظ في هذا البيت صورة جديدة للقلب ، وهو القلب المتصدع جراء العتاب، مع أنه لا يستحق ذلك العتاب فقد كان له بمنزلة الدار، ولكن بذلك العتاب قد خرب ذلك الدار يظهر من خلال ذلك نفسية الشاعر الحزينة جراء صديقه.

ومع ذلك إلا أنه ينتقل ليرسم صورة جديدة لذلك الصديق ليرسم الحساد الذين أرادوا الخراب في علاقته بصديقه ، لكن هيهات فشعاع هذه الصداقة لا تؤثر فيها مؤامرات الحساد فيقول : [45]

من الإفك الساعي ليخفي نورهـــــا أيخفي شعاع الشمس قد ملا الغضا

****

وأوقد نـــاراً فهو يصلي جحيمهـــا يقلب منها القلب في موقد الغضـــا

ويأتي القلب المحترق من الغيرة ، في صورة جديدة أيضاً ، فبعد أن رأينا القلب المنكسر من الخيفة ، والقلب الفرح ، والقلب المعاتب ، نلحظ هنا القلب المحترق من الغيرة

، والحسد فيصور قلب الحاسد بأنه يشوى على موقد لحسده فقد احترق بتلك النار التي أوقدها.

ومن مراثي الشاعر في ملوك غرناطة يقول في رثاء الملك اسماعيل بن فرج: [46]

أيا عبرةَ العين امزجي الدمع بالدم ويا زفرة الحزن احكمي وتحكمي
ويا قلب ذب وجداً وغماً ، ولوعـــة فـــإن الأسى فرض على كل مسلم

فكيف لا يكون هذا الحزن الشديد ، وهذا الأسى الكبير، وملكه قد فارق الحياة ، ونحس من خلال المطلع شعوره ، وكأنه يريد أن ينفجر من شدة الخطب وهول الفاجعة.

وقوله : [47]

وبرئت من قلبي إذا لم يذب أسفاً على ذاك الجواد الكاب
وبرئت من جفني إذا مـــا لم يصب بمدامـــــــع منـــــهلة التسكـــــاب

وفي بيت آخر يبرء الشاعر من قلبه إذ لم يذب من الحزن والأسف على موت ذاك الشجاع ، كما أنه سيتبرأ من جفنه أيضاً إذ لم يسكب الدمع الغزير عليه، ونلحظ نفسية الشاعر الحزينة وحبه للمفقود من خلال تكرار لفظة برئت وألفاظ الحزن مثل الأسف ، الدمع كما نلحظ الجناس بين (يذب ويصب) و(الكاب والتسكاب) الذي أضفى نغماً موسيقياً جميلاً.

ثم ينتقل للغزل ولكن غزله ليس كبيراً لأن تربيته الدينية منبعثة من الكتاب في هذا الجانب فعبر عن ذلك صراحة يقول : [48]

ألا أيها القلب المعني صبابة بربع درست مقفر العرصان
تسائل عن سعدى وسلمى سفاهة وقد مر عنك العمر في الفضلات
تنبه فصيح الشيب قد لاح منذرا أفق فأبى كم أنت في غمرات محل
ولذ بجانب المصطفى وكفى بـــــه الرضـــا والعوز والبركـــــات

وغزل ابن الجياب هنا ملفوف بنوع من المعاتبة والتنبيه فيبدأ منادياً القلب مستعملاً أداة النداء (يا) وهي من أكثر أدوات النداء استعمالاً ليتنبه عما هو فيه من الحب فلا سعدى ولا سلمى من تنفعه فقد مر عنه العمر في سفاهات ، ولا الشيب كنذير له عن إباحة القادمة التي لابد أن تكون في التقوى والإيمان فضلاً عن الحيرة التي رافقت أبياته الغزلية فنفسيته متذبذبة أحياناً يريد الجنوح للحب سرعان ما يتراجع عنه خشية فوات الأوان.

4- اللسان :

أي رعي اشرقت أنواره وندى يفضح شكاب الديم
أفحمتني فجناني طائش ولساني بين عي وبكم
أي لفظ يانـــــــع ذاك أو لســـــان واصف ذاك
المـــــــدى الكـرم[49]

ومع أن اللسان يعبر عن ما بداخل صاحبه إلا أن الشاعر يقف موقف الحائر من جمال المحبوبة التي أفحمته وجعلته بين العي والبكم فلم يؤدي لسانه وظيفته الطبيعية ولم يصف ذلك الكرم كرم الممدوح مثلما لم يستطع وصف جمال الحبيبة.

وفي التصوف وفي ذكر الله يقول : [50]

يا جناني ويا لساني اذكراه لا تغيبا عن ذكره فتخيباه
ذكره قد تقدم الذكر في ربم أمر رأيته مقلوبا
وإذا مـــــــا حققت فالذاكر كور فانظر تجده ســـــــــراً
المـــــــذ عجيبـــا

ينادي اللسان بحرف النداء (يا) مؤذناً له ترديد ذكراه حتى لا يخيب. وفي المدح يتأثر بمصطلحات علم العروض فيقول : (51)

طليـق لســـــاني في امتـداح محمد أقدمـــــــه درر وأنظمـــــــــة صمطاً

فلسانه شرح طليق في مدح من استحق ذلك المدح واللسان يظهر ما في القلب وقد أطلق درر بحقه.

ويتحدث كذلك عن الثغر: (52)

فبـــالك من يـــــــــومٍ أغر به افتـــــرى ثغر للهدايـــــــة محجل بـــــارسم

ثم يفرح الثغر لما رأت من سعـــادة في ذلك اليوم المليء بالنصر والهداية ويقول : (53)

وبثغـــــر رشفـــــــة حين روانـــــي من عذبٍ أعطشتنـــــــي جنـــــــاه

فثغره لا يظمأ حتى يذوق أو يظمأ من عذب ما جناه من محبوبه مطابقاً بين (أعطشني ، رواني).

وقوله : (54)

فـــــاه بالـدّار إن قبـــــلت رشـــــا مـــــا بغية القلب فـــــــــاه ســـــواه

يتغزل هنا مطابقاً بين فاه وفاه والثانية ضمه والأولى حسراته معبراً عن حبه لحبيبته.

ويقول أيضاً : (55)

بدور بدت من فوق أطواقها على رياض شدت في قضبها ذات أوراق
يناظر منها الأقحوان وقابل منهـــــا نرجس حسن أحداق
ثغورهـــــــــا

فالثغر هنا لطيب ريقه وحسنه وعذبه كأنما هو في مناظره مع الأقحوان الطيب الرائحة. وهي صورة جميلة لعقدة تلك المناظرة بينه وبين الزهر لطيبه ، وعذبه.

ويقول في المعنى ذاته : (56)

والروضة الغناء أينع زهرها فتبسمت عن ثغرها المضحاك
والورق قـــد أصغت لرنـــــــة فغدت تغانـــــي صوتـــــــه مزهر وتحاكي

فالثغر هنا ضاحك مبتسم في استعارة جميلة ، للروضة التي اينع زهرها فبدت وكأنها إنسان تبسم عن ثغر جميل.

ويقول أيضاً في رثاء ابنه : (57)

وما للساني مفصحاً بخطابه وما كان لو أوفى بعهدٍ لينبسا
أمن بعد مـــا أودعت روحي في الثرى ورقدت مني فلذة القلب مرمســـــا
***
على عمرٍ أفنيت فيـــــــه [فأسلمتني للقبر حيران مفلســـــا
بضاعتـــــي
***
إلى الله أشكو برح حزني فإنه تلبس من القلب ما قد تلبسا
وصدمة خطب نازلتني عشية فما أغنت الشكوى ولا نفع الأسى
فقد صدعت شملي وأصحت مقاتلي وقد هدمت ركني الوثيق المؤسسا
وقفت فؤادي مذ رحلت على الأســـى فأشهد لا ينفـك وقفـــاً محبســـا
***
فودعته والدمع يهمي سحابة كما أسلم السلك الفريد المجنسا لا
وقبـــلت في ذاك الجبين كرم من نفســـي علي وأنفســـا
مودعـــــــاً
***

لقد جمع ابن الجياب في هذه القصيدة تقريباً كلما تحدثنا عنه من عين ، وقلب ، ولسان ولكن بأسلوب شجي ، يقطر لوعة وأسى على فقده فلذة كبده ولده مستفهماً عن لسانه بـ (ما) متعجباً لحاله كيف يتكلم بطلاقة مفصحاً عن ما بداخله ، أولم يكن الجدير به أن ينبس لهول الصدمة ، فكيف له الكلام ، ثم ينتقل من اللسان إلى القلب الذي أورده في صورة لفت بالحزن بل قد تلبسها الحزن عليه. وعلى عمره الذي أفناه في جمعه ولكن بلحظة (أفلس من كل شيء) بعد رحيله إلا أنه يشكو لله ضعف قلبه ، وحيرة أمره ، وبما تنفع الشكوى والأسى ، والصدمة قد حلت بداره ، فاصحت له مقلته للبكاء بعد أن كانت مستقرة قريرة.

وفي صورة أخرى يعبر به عن حزنه وألمه راسماً صورة لفؤاده الذي جعله وقفاً للأسى، والحزن شاهداً على حزنه الأبدي الذي لا ينفك.

كما يرسم صورة أخرى للعين الباكية الحزينة المدمعة لشدة الفراق مصوراً بها موقفاً يفيض لوعة وأسى ، وإنسانية لكل من يقرأه وهي لحظة توديع العزيز الحبيب في الثرى وفي المستقر الأخير، والمكان الموحش فكيف ينزل حبيبه في ذلك المكان مع حبه الشديد له ؟ وفي البيت الأخير تأخذك فعلاً عاطفة الأبوة ، والقلب المنكسر المستسلم لحكم الله عز وجل فلا حيلة له سوى تقبيل جبينه مودعاً إياه للذي هو أكرم منه وأعز.

الخاتمة :

- لغة الجسد من المصطلحات التي حواها القرآن الكريم فله جذور أصيلة فيه.
- شاع هذا المصطلح حديثاً واشتهر في الوقت الحاضر وأغلب من قال فيه هم الغربيون.
- يأخذ أحياناً دور الكلام المنطوق ، وقد يكون صادقاً أكثر منه.
- لكل حركة من حركات الجسد رسالة مستقلة بذاتها توصلها بدورها إلى المتلقي.

- حوى ديوان ابن الجياب كثيراً من أجزاء الجسد معبراً بها كلاً حسب ما أراده في شعره فظهرت العين القريرة ، والباكية ، والحزينة ، وكذلك اليد المبسوطة، والقوية ... وغيرها.

الهوامش

(1) القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآيات : ٢٧ – ٢٩.

(2) القاموس المحيط ، الفيروز ابادي، (ت 817ه)، بيروت ، دار الفكر، 1983، ص1715.

(3) لسان العرب ، ابن منظور، بيروت ، دار صادر، ط1، ج3 : 120.

(4) سايكولوجيا الواقعية والانفعال ، محمد محمود بن يونس ، عمان ، دار المسيرة، ط1، 2007م : 340.

(5) الاتصال الصامت ، مجلة المسلم المعاصر، عبدالله عودة ، ص1–2.

(6) الاتصال الصامت في القرآن الكريم ، محمد أحمد أمين ، دار الثقافة الإعلام ، الشارقة ، ط1، 2003 : 40.

(7) فن لغة الجسد ، كيف نفهم الآخرين من نظرة عين ، زين العابدين ، مجلة الابتسامة ، اعداد ياسر حماية ، كنوز للنشر والتوزيع ، ص5.

(8) سايكولوجيا الواقعية والانفعال : 340.

(9) لغة الجسد ، بيتر كليتون ، ترجمة دار الفاروق ، مصر، دار الفاروق ، ط 1، 2005، 6.

(10) لسان العرب ، ج4 : 219.

(11) ابن الجياب الغرناطي ، حياته وشعره ، د. علي محمد النقراط ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، ط1 : 147.

(12) ابن الجياب ، حياته وشعره : 318.

(13) م. ن : 337.

(14) لغة العيون : أبي الفداء محمد عزت محمد عارف ، دار الفضيلة : 124.

(15) القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآية : 26.
(16) ابن الجياب ، حياته وشعره : 222.
(17) م. ن : 222.
(18) ابن الجياب : 251.
(19) شعر الخنساء ، تحقيق ، كرم البياتي ، مكتبة صادر، بيروت ، 1951: 41.
(20) ابن الجياب : 252.
(21) م. ن : 257.
(22) ابن الجياب : 290.
(23) م. ن : 398.
(24) ينظر: لسان العرب : 15 : 419.
(25) ابن الجياب : 144.
(26) م. ن : 146.
(27) م. ن : 147.
(28) ابن الجياب: 146.
(29) م. ن : 147-148.
(30) م. ن : 277.
(31) ابن الجياب : 389.
(32) م. ن : 190.
(33) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت 261ه) مكتبة الإيمان بالمنصورة، كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم الحديث (1599) ص: 792.
(34) ابن الجياب : 149.
(35) م. ن : 149.
(36) م. ن : 150.
(37) التحرير والتنوير، محمد الطاهر، بن عاشور (ت 1379ه)، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت، ط1، 2000، 16 : 44.
(38) ابن الجياب : 180.
(39) م. ن : 180.

(40) م. ن : 182.
(41) ابن الجياب: 192.
(42) م. ن : 375.
(43) م. ن : 223.
(44) م. ن : 229.
(45) ابن الجياب : 223.
(46) م. ن : 256.
(47) ابن الجياب : 393.
(48) م. ن : 287.
(49) ابن الجياب : 170.
(50) م. ن : 209.
(51) م. ن : 318.
(52) ابن الجياب : 321.
(53) م. ن : 395.
(54) م. ن : 416.
(55) م. ن : 424.
(56) 446.
(57) ابن الجياب : 262 ، 263.

المصادر :

القرآن الكريم.

1. ابن الجياب الغرناطي حياته وشعره ، د. علي محمد النقراط ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، ط1.
2. الاتصال الصامت ، مجلة المسلم المعاصر، عبدالله عوده.
3. الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم ، محمد أحمد الأمين ، دار الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ط1 ، 2003.
4. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت 1379ه) ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط1 ، 2000.
5. سايكولوجيا الواقعية والانفعال ، محمد محمود بن يونس ، عمان ، دار المسيرة ، ط1، 2007.
6. شعر الخنساء ، تحقيق كرم البستاني ، مكتبة صادر، بيروت ، 1951.
7. فن لغة الجسد ، كيف نفهم الآخرين من نظرة عين ، زين العابدين ، مجلة الابتسامة ، إعداد ياسر حماية ، كنوز للنشر والتوزيع.
8. القاموس المحيط ، الفيروزابادي (ت817ه) ، بيروت ، دار الفكر، 1983م.
9. لسان العرب ، ابن منظور، بيروت ، دار صادر، ط1.
10. لغة الجسد ، بيتر كليتون ، ترجمة دار الفاروق ، مصر، دار الفاروق ، ط 1، 2005.

11. لغة العيون، أبي الفداء محمد عارف ، دار الفضيلة.

Body Language in the Poetry of Ibn Al-Jayab Al-Farnati

Inst. Dr. Afrah Ali Uthman

Abstract

Language is a means of communication among the human beings. Every language that distinguish them from others. However, there is language common that is common of all human beings without discrimination and expression of ideas. Perhaps it is more honest that the usual language.

The research is divided into a preface which speaks about the meaning of body language. Then we speak about body gestures like the eyes, hand, the tongue the heart reaching up the conclusion in which we found that the body language is one of the terms included in the Holy Quran, which has original roots. But this term is recently common and spread in the present time. Most of those who tackle it were westerners. Sometime it took the role of the spoken language and mostly it is more honest. Each gesture has an independent message that is conveyed to the receiver. The volume of Ibn Al-Jayab includes in its parts many examples of body language.

نبذة عن الباحث :

م.د.أفراح علي عثمان ، حاصلة على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، تخصص أدب أندلسي، كلية التربية للبنات / جامعة بغداد.

المؤلفات :

- كتاب شعر الغزل بين مسلم بن الوليد وابن عبد ربه الأندلسي دراسة موازنة.

البحوث المنشورة :

- شعر الغزل في العراق في القرن التاسع عشر.
- القيم الجمالية في شعر ابن زمرك الأندلسي.
- التكرار في تجربة الفقد في الشعر الأندلسي.

البحوث المقبولة للنشر :

- الغموض في الشعر العربي.
- التضاد في تجربة الفقد في الشعر الأندلسي.